

ملاحظ و مأخذ

بقلم الدكتور سريدي ريس

ليس من حرج في ان اعترف بان مناقشة الاستاذ محمود امين العالم ستبلغ من الصعوبة مقدار ما بلغته محاضراته من الجودة . فان المزايا الكثيرة التي

اتسمت بها هذه لمحاضرة ، من وضوح الخط ورسالة المعالجة ودقة الاحكام واستشراف منظورات المستقبل ، كل ذلك يوجب التقدير ويستحق الثناء . وحسب ان التركيز في هذه المحاضرة القيمة هو ميرتها الاولى . فقد تناول المحاضر موضوعه من أبعاده المختلفة ، وعالجه نظرياً وتطبيقياً ، وموضعه في الاطار الذي ينبغي ان يوضع فيه . ونعتقد ان لم يكن في ذلك بحاجة الى ان يفيد مما سبق من مناقشات المحاضرتين السابقتين ، فان ما سبق نعالجه من موضوعات القدر والدراسة يدل دلالة واضحة على طبيعة هذا الاتجاه .

ولهذا يعدني ان ابدأ بازجاء الثناء للاستاذ العالم ، واعتقد انكم جميعاً شاركوني فيه .

ولكن .. ولا بد من لكن هذه ، ليلظ اسم هذا المؤتمر مؤتمراً . ولكن هناك بعض الملاحظ والمأخذ التي لم تخل منها المحاضرة . واني مبرزها فيما يلي :

ولا - بدأ المحاضر الكريم ، في سبيل تحديد العلاقة بين الأدب والفن ، بمناقشة بعض المفاهيم التي وصفها بأنها «شائعة حول هذه العلاقة» . فذكر تفرقة اولى تقوم على اساس ان الادب مادته المعاني ون الفن مادته الصور . ثم دحض اساس هذه التفرقة بالحجة الوحيدة البسيطة من ان الادب يقوم بالصور بقدر ما يقرم بالمعاني . والحق اني اخشى ان يكون هذا المفهوم في العريق بين الادب والفن غير قائم اصلا . فنحن لا نعرف من ذهب هذا المذهب في الادباء او الفنانين او النقاد ، لأه مادة الادب لم يختلف في تحديدها احد من انها المعاني ، ومفهوم ان المعاني لا تقوم الا بالصور . وكذلك القول في الفن ، من ان مادته الصور ، ومفهوم ان الصور ذات دلالة دائماً ، اي ذات معنى ، وعلى هذا فأحسب ان

الاستاذ العالم صنع هذه التفرقة ليناقشها مناقشة غير ذات موضوع ، كما احسب ان استشهاده بغلبة طابع التعبير الحسي بغير دلالة في آثار المدرسة

الانطباعية ، وغلبة الطابع التجريدي بغير مضمون في آثار المدرسة التكعيبية ، انما جاء به لتغطية هذه التفرقة . فان انتفاء الدلالة في الاولى وانتفاء المضمون في الثانية ليس امرأ مقررأ وناجزأ على الاطلاق . فكثيراً ما نجد هواة الفن ومتذوقيه مختلفين في فهمه ، ولا سيما في الآثار التكعيبية ، فقد يدعي بعضهم الا مضمون هناك لبعض هذه الآثار ، بينما يستخرج آخرون منها معاني على غاية الغنى والخصب . وهذا الاختلاف نفسه يكفي لأن تنفادي الحكم على اثر فني بنفي الدلالة والمضمون عنه ، فضلاً عن انه قد يكون في ذلك تجن على صاحب الأثر . ونحن نذكر مثلاً كيف استقبلت آثار بيكاسو في مرحلته التكعيبية ، وكيف لاتزال حتى الآن تثير الاستفهام والخلاف .

واذن فأحسب ان هذه التفرقة الاولى بين الأدب والفن لا اساس لها ، ومثل هذا القول في التفرقة الثانية من ان قيمة الفن من داخله وقيمة الأدب من خارجه ، ما دام المرجع في ذلك تماسك البناء في اللوحة والقصيدة والقطعة الموسيقية والتمثال وما الى ذلك . وكذلك القول في التفرقة الثالثة . وقد كنا نحج لو ان الاستاذ العالم استشهد بمن يذهبون هذه المذاهب ، اذن لكنا نبرر هذه المناقشة . والواقع اننا نراه يخرج من هذه المناقشة بتقرير مفهوم يعتنقه جميع الناس وهو تعانق المعاني والأحاسيس في كل عمل ادبي وكل عمل فني ، وان التمايز بين الأدب والفن لا يتحقق الا بالوسيلة والاداة المستخدمة .

ثانياً - يفهم فهماً واضحاً من سياق المحاضرة انها تعتبر لقاء الفنون والأدب لقاء سعيداً للادب اي في صالحه دائماً . ونعتقد ان هذا اطلاق وتعميم لا تقرها الوقائع دائماً . صحيح ان السينما مثلاً قد افادت الأدب في زيادة نشره واكتساب

الفنون في وطننا العربي مشدودة بوثاقة الى النقد الذي تتجلى هنا مسؤوليته الكبرى تجلياً عميقاً . والحق انه ليس عندنا الناقد الذي يساعد جمهورنا على ان يتذوق هذه الفنون ويغلغلها في نفسه وضميره حتى تتكون له الذائقة الفنية التي يحتاج اليها الانسان العربي اكثر ما يحتاج اليوم . ان الاغنية المائعة التي لاتحمل الا صفة التحلل انما تظل سائدة في الاذاعات العربية لأن الناقد مفقود ، وان اللوحة الفنية الرائعة ستظل تجد امامها عيوناً مشدوهة وانغلاقاً كلياً لأن الناقد الفني الذي يستخرج الجملات ويعي معنى الإشراقه هنا والظل هناك والنية هنالك ورعشة الازميل عند شذثة تمثال وانحناءة خصر .. ان هذا الناقد الذي يعين المتفرج على تكوين ذائقته الفنية يكاد يكون مفقوداً .. وكذلك القول في تقييم آمار السينما والمسرح وسواهما من الفنون . ان رابطة الادب بها جميعاً تقوم على النقد الذي يتحمل هنا مسؤوليته كما لا يتحملها في اي ميدان آخر .

رابعاً- بالاضافة الى النقد ، كنا ننظر من المحاضر ، وهو يعالج وضع الفنون العربية المعاصرة (والأصح ان نقول وضع الفنون في مصر لأنه اهمل سائر البلاد العربية) ان يقترح لها وسائل التنشيط والتشجيع . ولعلنا هنا نرتد الى واجبات الدولة في ذلك ، ولا بأس في هذا فان قضايا الادب والفن متداخلة تداخلاً معقداً بحيث يحتفظ كل عنصر خارجي عنها بأهميته في التأثير عليها . الا يعاني الادب والفن من اهمال الدولة له عندنا ؟ اليس انعدام المسرح في لبنان وسوريا مثلاً مردوداً الى حجب الدولة المعونة عنهما ، بينما ترصد في ميزانيات الدول جميعاً اعتمادات كافية لسد عجز المسرح الذي يؤدي الى الجمهور خدمة ثقافية وفنية كبرى ؟ وتشجيع الرسم والنحت والتصوير ، الا يكاد يكون معدوماً ؟ وتأليف الاوبرات والاوريات ، الا يحتاج الى معونة الدولة ؟ اننا لا نريد ان نعزو ضعف هذه الفنون عندنا الى الرأسمالين الجشعين وخدمهم ، وان من واجبنا هنا ان ندرج في توصياتنا الأخيرة مطالبة الحكومات العربية بان ترصد الاعتمادات الكافية التي تضمن لهذه الفنون جميعاً الازدهار ، هذا الازدهار الذي به وحده نستطيع ان نضمن تكوين الذوق الفني السليم ، هذا الذوق الذي نحن بأشد الحاجة الى تكونه في طريقنا لخلق حضارتنا الجديدة .

سهيل ادريس

المزيد من القراء له . ولكن هذه الافادة لم تكن دائماً في صالح الأثر الأدبي ، لأن هذا النشر اتخذ احياناً طابعاً أفقيلاً لا طابعاً عميقاً ، فقد رأينا انه يفقد عمقته احياناً على حساب أفقيته ، بسبب ان المخرجين كانوا يعجزون احياناً (ويتقصدون احياناً اخرى) ان يسقطوا من الأثر الادبي ما يصعب على الجمهور ادراكه ببسر . وقد ادى ذلك احياناً بصورة مباشرة او غير مباشرة الى ان يراعي المؤلف نفسه هذا المطلب على حساب ابداعه العميق . ولا نطن احداً يشك في ان فن السيناريو الجديد الذي ولد من لقاء السينما والرواية هو في كثير من الاحيان في غير صالح الفن الروائي ، هذا الفن الذي يعرّيه السيناريو بالسهولة والايجاز والسريعة . ولعلكم تعرفون عدداً من المؤلفين الروائيين في مصر الذين صرفهم صناعة السيناريو عن فن الرواية . ثم ان السينما نفسها لا تستطيع دائماً ان تعبر التعبير الصادق العميق الذي تورده الرواية . ولا ننسى اخيراً انها تفسد من الأثر الفني المكتوب انه يتيح للقارئ ان يقف عند موقف من السرد يحتاج فيه الى التأمل والتروث والتذوق حتى اذا تملى منه عاد الى المتابعة وهو اكثر استعداداً لالتقاط الروائع الخفية في السياق . اما السينما فهي تسوق المشاهد سوقاً الى المتابعة ، وتفرض عليه ان يحبس انفاسه في اللحاق بالأحداث ، من غير ان يردها الى سريره ويتفعل بها الانفعال الناضج الصادق .

هذا مثال واحد اكتفي به لأظهر ان لقاء الادب والفن قد يكون على حساب احدهما ، خلافاً لما ذهب اليه الاستاذ العالم .

ثالثاً- حين عرض المحاضر للحالة الراهنة في الفنون العربية المعاصرة ، كاد يقصر حديثه على السينما والاذاعة وعلى ذكر المسرح . وقد رأينا هنا ينسى الفنون الاخرى التي تسمى الفنون الجميلة والتي بدأ في اول محاضرتها بالاعتذار عن تسميتها بذلك .. ولعله من اجل هذا نسيها ! فانه لم يتطرق الى الحديث عن الرسم والنحت والتصوير الا في القسم النظري من محاضراته ، وهو قد اهمل اهمالاً كاملاً الرقص والموسيقى والغناء . صحيح انه ليس مطلوباً منه ان يتحدث عن هذه الفنون بذاتها ، بل ان يتحدث عن علاقتها بالادب . ولكن الا ترتبط هذه الفنون بالادب ارتباطاً وثيقاً بواسطة النقد ؟

هنا مأخذ كبير على المحاضرة . فنحن نعتقد ان حالة هذه